لماذا اذن يقوم شخص واعي وعملي مثل بن غوريون بوضع مثل تلك التلفيقات التي حبل بها كتابه ؟ ربما يكون سبب ذلك ان بن غوريون يعتقد ان الكثير من الحقيقة قد قيل في سيرته « الرسمية » التي وضعها ميخائيل بار زوهار في كتاب « النبي المسلح » وانه يشعر ان الوقت قد حان لمزيد من الاطراء . وقد يكون من الطبيعي ايضا لبن غوريون « كوطني اسرائيلي » ان يحاول اعطاء انطباع جيد عن بلده قدر استطاعته وبكل ما لديه من سلطان . ان ذلك يشكل رغبة طبيعية لدى بن غوريون واسرائيل لا كوسيلة لغاية وانما كغاية في حد ذاتها . انه جزء من مبرر وجود اسرائيل التي لا ترى في الدعاية المناسبة أمرا ثانويا وانما ضرورة قومية .

ان ما ترتكز عليه الدولة اليهودية من ظلم ولا انسانية يمكن التغاضي عنه او اغفاله او تناسيه اذا امكن فقط تبيان ان اسرائيل هي دولة من نوع خاص جدا وان الاسرائيليين شعب خاص جدا لا يخطئون ابدا ويجب ان يغفر لهم اذا أخطأوا . وهناك طبعا الخرافة القديمة القائلة بأن اليهود هم شعب الله المختار ، الا أنها لا تجد كثيرا من الاذان الصاغية في عصرنا الحاضر والبعيد عن الايمان الديني . وعليه فان الاسرائيليين ليسوا مجرد شعب مختار وانما يجب اظهارهم ، لضرورات سياسية ، على أنهم نوع جديد من « الشعب المختار » . ولقد قيل إن اسرائيل لا يمكن ان تكون دولة مثل باقي الدول ، بل يجب أن تكون استثنائية لان لها رسالة خاصة تحققها وهي بمثابة النور للعالم وخاصة العالم الافرو ـ آسيوي . وكان بن غوريون دوما من دعاة هذه الفكرة الرئيسيين ، فقد قال في كانون الثاني ١٩٤٩ وبعد اسبوع من وقف القتال : « سنستطيع انجاز هذه الرسالة فقط اذا مبانا الى ابعد حد الميزة الوحيدة التي نتمتع بها وهي ارادة الشعب اليهودي الادبية والفكرية » . ولاحظ استخدامه كلمة « الادبية » . وفي الجزء النهائي من الكتاب حول المستقبل وميراث الامة الفريدة يشير بن غوريون مرارا وتكرارا الى فكرة الفرادة والتفوق اليهوديين . فهو يتحدث عن « الميزة المتفوقة للامة العبرية » ويقول « ان مستقبل اسرائيل سيعتمد على الحفاظ على هذا التفوق وتعزيزه اكثر من اعتماده على اي شيء آخر » .

ويحاول بن غوريون في هذا الكتاب اقناع الاسرائيليين وغيرهم بهذا التفوق العنصري الفريد . ولذلك فانه من المستحيل ، لاسباب تتعلق بوجود الدولة والوجود القومي ، ان يعترف بن غوريون بأن اليهود الاسرائيليين اذنبوا بارتكابهم اعمالا وحشية مثل مجزرة دير ياسين وطرد الشعب الفلسطيني من ارضه . ويستحيل ان يعترف بأن اليهود الاسرائيليين يمكن ان يكونوا مخادعين وخائنين بحيث يلعبون دورا حقيرا في خدمة المعتدين البريطانيين والفرنسيين وفقا لمعاهدة سرية . ويستحيل ان يصف بن غوريون « اشتراكية » اسرائيل في الوقت الذي تتحالف فيه مع قوتين محليتين خاضعتين لحكم امبراطورين يرتكزان على القمع ومعرضين للتداعي والسقوط . ومن المستحيل ان يعترف بأن اسرائيل ربحت حرب حزيران ١٩٦٧ بسبب « هجوم تسللي جبان » . واذا اعترف بن غوريون بهذه الحقائق لما بقي هناك سبب للمجيء باسرائيل الى الوجود ما دامت دولة مثل سائر الدول بل هي اكثر وحشية وقسوة من غيرها . اما اذا اغفل الظلم الذي ترتكز عليه اسرائيل فانه يترتب على ذلك اظهار الاسرائيليين على انهم شعب خاص ، بلا خوف او شعور باللوم او الخزي ، واقناع الاسرائيليين انفسهم وغيرهم بذلك وتلك كانت هي الامور التي حذقها بن غوريون . ان القول بأن لاسرائيل عيوبها المعنوية لا يعتبر نقدا غير اخلاقي فقط بل خيانة عظمى بالنسبة لشخص مثل بن غوريون .

ان اكاذيب بن غوريون وغيره من رجال الدعاية الاسرائيليين والصهيونيين ليست مجرد اكاذيب دعائية تريد ان تضفي بريقا على الاشياء وانما هي اكاذيب اساسية تحمي صميم الوجود الصهيوني ذاته . ان تبيان الحقيقة قد يلحق العار بالدعائي العادي ولكنه يقضي على الصهيوني . ولهذا السبب يغالي الاسرائيليون والصهيونيون في التأكد من ان حقيقتهم لن تظهر ابدا . وهذا الخوف الصهيوني الفعلي من الحقيقة هو احد اقوى مصادر الامل في مستقبل هذا الجزء من العالم . لان الحقيقة سوف تظهر .

جودفري هـ. جانسن